دلالة الوفاء و الولاء لسيد الشهداء في زيارة الناحية المقدسّة

دراسة في مقاطع الزيارة

أ. م. د. سحر ناجي المشهدي

وزارة التربية محافظة النجف

sahar.naji.175@gmail.com

ملخص البحث

يسعى بحثنا الحالي إلى دراسة مقاطع زيارة الناحية المقدسّة،وهي زيارة نجد قلة الدراسات التي حاولت دراستها أو شرحها، وقد نقلت إلينا عن طريق مؤلفات علماء شيعة، ومن بينهم الشيخ المفيد، فيقول :»زيارة اخرى في يوم عاشوراء برواية اخرى» ونجدُ فيها حديثاً عن الأنبياء و كراماتهم ابتداءَ من نبي الله آدم ﷺ ومن بعده شيث وادريس ونوح وهود وصالح وابراهيم وخاتمهم نبينا محمد إلى أن نصل الى سبطيه(الحسن والحسين)-سلام اللهّ عليهم أجمعين-و تتناول معجزة كل نبي، ثم ينتقل إلى آل بيت النبّوة وتخصيص السّلام للإمام الحسين ﷺ، وقد رُويت هذه الزيارة عن طريق نوّاب الإمام الحجة المنتظر (عجل الله فرجه الشريف) وبلغت الشيخ المفيد ثم السَّيد المرتضى و شُكّ في صحة سندها و متنها ؛ لفقد كتابي (المزار والمصباح) للمفيد والمرتضى ولذا يهدف البحث إلى كشف الصورة الواقعية التي عاشها المجتمع القائم آنذاك؛ و قسم البحث على مبحثين تناول الأول دراسة السِّمات الدلالية والجمالية من (سجع و تكرار) وتناول في المبحث الثاني (التقابل الدلالي و الفروق اللغوية والصورة الفنية والعموم والخصوص) في كلّ ما تقدم تتضح دلالات وسمات جمالية دقيقة واردة في بعض المقاطع التي درست وقد اختتم البحث بخاتمة لأبرز النتائج التي توصلنا اليها على وفق للمنهج الوصفي التحليلي

الكلمات المفتاحية: دلالة ، الوفاء ، الولاء ، الناحية المقدسّة

“The Significance of Fidelity and Loyalty to the Master of Martyrs in The Ziyarat AL-Arbaeen: A Study in Visitation Passages

Dr. Sahar Naji Al-Mashhadi
“The General Directorate of Education in Al-Najaf Governorate”

Abstrect :

Our current research seeks to study the passages of the visit to the holy city, which is not a well-known visit. That is why we find the lack of studies that I tried to study or explain, and they were transmitted to us through the writings of some Shiites, including Sheikh Al-Mufid. And after him, Seth, Idris, Noah, Hud, Salih, Ibrahim, and their seal, our Prophet Muhammad, until we reach his two grandsons (Al-Hassan and Al-Hussein) - may God’s peace be upon them all - and deal with the miracle of each prophet, then it moves to the family of the prophethood and the allocation of peace of Imam Al-Hussein (peace be upon him), and this visit was narrated by the deputies of the expected Imam Al-Hujjah (may God hasten his honorable reappearance) and it reached Sheikh Al-Mufid and then Mr. For the loss of my book (The Shrine and the Lamp) by Al-Mufid and Al-Murtada, and therefore the research aims to reveal the realistic picture that the existing society lived in at the time; The research was divided into two sections, the first of which dealt with the study of the semantic and aesthetic features of (singing and repetition) and studied in the second section (semantic contrast, linguistic differences, artistic image, generality and specificity). It was studied and the research was concluded with a conclusion of the most prominent results that we reached according to the descriptive analytical method.

Keywords: Significance, Fidelity, Loyalty, Sacred Aspect”

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
شعبان - ١٤٤٥ هـ آذار - ٢٠٢٤ م

المقدمة

تعد زيارة الناحية المقدسة من الزيارات(غير المشهورة)نجد فيها وصفاً دقيقاً لما جرى لمولانا الحسين عليه السلام في عرصات كربلاء، وفيها تشخيص بليغ فالحديث فيها كأنه قراءة المقتل الحسيني بتفاصيله المشاهدة وكأنّها شاهد عيان لماجرى من هتك للحرمات واستلاب الكرامات، وقد اخترت هذا الزيارة وفاء وولاء لسيدنا و مولانا الحسين عليه السلام للمشاركة في مؤتمر الاربعين ، فوجدت قلة في المصادر التي تحدثت عنها لأنّها ضعيفة المتن و السّند ، و قد وصلت الى محمد بن غالب الاصفهاني (٢٦ هـ) وجاء ذكرها في أكثر من مصدر ومنها : بحار الانوار(المجلسي،١٩٨٣،ج ٩٨:٣١٧)

و النّاحية: مصطلح شيعي جرى في الغيبة الصغرى للإمام القائم عجل الله فرجه الشريف ناحية الامام المنتظر(عجل اللهّ فرجه الشريف) فقد كان سفراء الامام يتوسطون بينه وبين شيعته لتبادل المعلومات والاسئلة المختلفة فأطلقوا مصطلح الناحية المقدسة ؛ للدلالة على أن مصدر المعلومات هو الإمام نفسه ولفظ القداسة للناحية ؛تكريم للإمام، فالمعصوم تقصده الناس و تتوجه اليه للإرشاد والتوجيه ، وهو اصطلاح شيعي لعدم التصريح باسمه في الغيبة الصغرى و أوجب ذلك تخفيه عن السلطات العباسية التي حاولت النيل منه ،وعُدّت سراً عظيماً في تعدد ذكر الأسماء والأحداث التي جرت على آل بيت النبّوة فالعلماء والراسخون في العلم وحدهم يعلمون هذه الأسرار، ويقفون على مكامنها، لقربهم من الامام الحجة بن الحسن عجل الله فرجه الشريف فهو المصداق البارز للراسخين في العلم. ومعرفة الامام معرفة الله لذا ورد في القول (ان من عرفكم فقد عرف الله) فعلمه الغيبي وعصمته الكبرى وهو الوريث الباقي من نسل رسول

الله، فالمصيبة عظيمة وقد رواها القائم المنتظر يذّكرنا بمصاب جده كأنّه شاهد لما حدث في ارض الطّف

التمهيد: في صحة إثبات سند الزيارة

حين ننتبع زيارة الناحية المقدسّة نجدها وثيقة تأريخية تنقل أحداث واقعة الطّف فيها الإحساس العظيم والتوجع والحسرة والألم لما مرّ بإمامنا الحسين وأهله وعياله وعترته فنجد فيها علامات تهزّ كيان العالم بأجمعه إلاّ أنّها لم تسلم من النقد فأُثيرت إشكالات في نسبتها وصحتها و سنقف في هذا البحث على دراستها دلالياً ومن خلال دراسة بعض المقاطع الواردة فيها فقد نسبها المجلسي الى الشيخ المفيد و ربما يكون إنشاؤها من لدن الشيخ المفيد نفسه، ونسبها ابن طاووس الى السيد المرتضى ، وربما يكون المرتضى نقلها شفاها فتنوقلت عنه ولم تنسب الى الامام الحجة ، في ما يرجح السيّد الخوئيﷺ نسبتها الى ابن المشهدي بقوله: «إنّ محمد بن المشهدي من المتأخرين، وقد مرَّ أنّه لا عبرة بتوثيقاتهم لغير مَن يقرُب عصرهم من عصره، فإنّا قد ذكرنا أنّ هذه التوثيقات مبنية على النظر والحدس، فلا يترتّب عليها أثر (الخوئي،١٤١٣ ، ج ١ : ٤٨)وربما يكون سندها صحيحا ومتنها قد نجد عليه بعض الانكار و هو امر طبيعي في مجمل الزيارات و الأدعية ولذلك قيل: زيارة غير مشهورة وأن الشيخ محمد بن المشهدي، قال في أول مزاره:(فإني قد جمعت في كتابي هذا من فنون الزيارات للمشاهد، وما ورد في الترغيب في المساجد المباركات والأدعية المختارات وما يدعى به عقيب الصلوات وما يناجى به القديم تعالى من لذيذ الدعوات والخلوات، وما يلجأ إليه من الأدعية عند المهمات، ومما اتصلت به ثقات الرواة إلى السادات (ابن المشهدي، ١٤١٩،٢٧)وقد تقبّلها الشيخ المفيد

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
المجلد الثاني، السنة الثانية، الملحق (١)

والمرتضى ولم يرد طعنهم فيها ؛لذا كان الجواز بمشروعية زيارتها بألفاظها ، فضلاً عن عدم ورود الطعن عليها من أحد على طول التاريخ الإمامي؛ ممّا يكشف عن تلقّيها بالقبول يداً بيد عن المعصوم.

أقول : إنّ ورود بعض الفقرات في مقاطع الزيارة ضعّفتّها؛ لأنه لا يتناسب مع علو مقام سيدات بني هاشم في قوله:» فبرزن من الخدور ناشرات الشعور "فالمتعارف عند العرب سابقاً أنّ المرأة إذا فقدت عزيزاً عليها تبقى بقيّة عمرها محزونة لمصابه، محرومة حتى من البسمة والضحكة لفقده، فإنّها في هكذا ظروف تفتح ضفيرتها داخل الستر والحجاب كعلامة لشدّة المصيبة، وهذه العادة موجودة في العراق أيضاً وربما في مناطق عربية أخرى، وليس المراد أنّ العلويات خرجن من الستر ورؤوسهنّ مكشوفة والعياذ بالله. و تردد في بعض المصادر إنّ ورود « ناشرات الشعور »هو: إنّ العلويات فتحن ضفائرهنّ تحت المقانع لشدّة المصاب، بعد أن ربطن المقانع على رؤوسهنّ بإحكام امتثالاً لأمر سيّد الشهداء سلام الله عليه، فقد أوصاهنّ بذلك لكي لا يذهلن عن حجابهنّ من شدّة المصيبة وعظمة الفاجعة (العاملي، ١٤٢٢،ج ٢ :١٨٢)

المبحث الأول
السِّمات الدلالية والجمالية في مقاطع الزيارة :

أولاً : السجع

السجع مشتق من سجعَ الرجلُ إذا نطق بكلام له فواصل كقوافي في الشعر من غير وزن»(الفراهيدي، ج١ :٣٦)وعُدّها الرماني عيباً مفرقا بينها و بين الفواصل بقوله :»الفواصل بلاغة و الأسجاع عيب . وذلك أن الفواصل تابعة للمعاني ، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها»(الرماني ،١٩٧٦،٩٨)ويرجع سبب ذلك لاشتقاقها من سجع الحمامة ، فليس فيها إلاّ أصوات متشاكلة و اصطلاحاً يعني إعتدال في مقاطع الكلام (ابن الأثير،٢٠١٣،ج١ :٢١٢)وعرف بأنه الكلمة الأخيرة في القرينة ، ويسميها بعضهم قافية النثر(الزركشي،١٩٧٢،ج١ :٧٦)ويتضحَّ في زيارة الناحية المقدّسة هيمنة السجع على النصوص (عبد الرحمن،٢٠١٣ ،٢١٦) وفيه أهمية كبيرة منها : ترغيب السّامع بسماع روي منتظم ، و منها سرعة الحفظ والاسترسال في متابعة المقاطع الصوتية المتشابهة ؛ ولأن الكلام المسَّجع أفصح وأبلغ من غير المسجع(العلوي،٣ :١٧)؛فالسجع المطرف: أن تتفق الكلمتان في حروف السجع لا في الوزن(الزركشي،١٩٧٢،١:٣٢)وعرفه ابن الزملكاني قائلا:»فان فات الوزن سمي مطرفا»(ابن الزملكاني،١٩٦٤،١٧٨)ويصفه عبد العزيز عتيق بأنه ما : « اختلفت فيه الفاصلتان أو الفواصل وزنا واتفقت رويا»(عتيق ،١٩٨٥،٢١٧) والسجع المتوازي : ماتفقت فيه الفاصلتان في الوزن والتقفية،والسجع المتوازن : ان تراعى في الكلمتين الاخيرتين من القرينتين الوزن دون التقفية(السيوطي ، ١٩٩٩،٢:١)فنهاية بيت الشعر تسمى القافية، ونهاية النثر سجعا، ونهاية الآية

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
المجلد الثاني ، السنة الثانية ، الملحق (١)

فاصلة (الصغير، ١٤٤، ٢٠٠٠)ويتضمن السَجع مؤثرات صوتية نغمية تتردد بشكل سلس ،ومن خلالها يستطيع الفرد ايجاد روابط بين طرفيّ الكلام للمتكلم والمخاطب ، فيحدث إيحاءات بلاغية جمالية وهذا ما يجعل النَّص قوياً متماسكاً غير مجتزء ، إذ تتشابه نهايات الفقرات وسندرس هذه الأنواع على وفق للمقاطع الواردة في الزيارة إذ يبدأ الإمام عليه السلام بالسّلام الخاص فيقول :

السّلام على من الإِجَابَة تَحْتَ قُبَّتِهِ : قـُبـ / بـَ / تـِ / هـِ

جَعَلَ اللهُ الشِّفاءَ فِي تُرْبَتِهِ : تـُر / بـَ / تـِـ / هـِ

الأئمَّة مِنْ ذُرِّيَّتِهِ : ذ ـُر / رِ / يـَـ / تـِ / هِ

فقد جاءت الفواصل متفقة في حروف السجع مع اختلاف الوزن و هو من السجع المطرف

ثم الانتقال و التخصيص للسلام الى الامام الحسين عليه السلام ،و انتقاله بين حروف روي جديد و هو حرف الالف ،و فيه امتداد صوتي يكسب النّص جمالا و هو من السجع المطرف ايضاً:» السَّلامُ عَلَى ابنِ خَدِيجَة الكُبْرَى : اَـلـ / كـُـبـ / رَـَ

السَّلامُ عَلَى ابْنِ سِدْرَة المُنتَهَى : اَـلـ / مـُـنـ / تـَـ / هـَـَ

السَّلامُ عَلى ابْنِ جَنَّة المَأوَى : اَـلـ / مـَأْ / وَـَ

السَّلامُ عَلى ابْنِ زَمْزَمَ وَالصَّفَا « و صـ / صـَ / فـَـَ، وارتباط اسم سيدنا الحسين بالسيدة خديجة تشريف آخر لنسبه فسيدتنا خديجة الكبرى أولى امرأة تزوجها الرسول، وأولى امرأة أسلمت وكانت من سادات قريش وأشرافها وتُدعى في

الجاهلية الطاهرة ولقّبها النبي بالكبرى، و نسب الحسين اليها تكريما،و السِّدر شجرة النبق واحدته سدرة وهي شجرة معروفة في الجنّة ، و ابن جنة المأوى : الجنة : البستان و تسمى النخيل جنة،وزمزم اسم لبئر في مكة تتيمن الحجيج بالشرب منه في بيت الله (الرازي،١٩٩٩ ، ٣٧) والصَّفاجبل عظيم في مكة يقابل جبل المروة ،ويستمر السّلام على الامام الحسين عليه السلام بصفاته التي كانت شاخصة واقعاً على أرض كرَبَلاء «السَّلامُ عَلى المُرَمَّلِ بالدِّمَاءِ، السَّلامُ عَلى المَهْتُوكِ الخِبَاءِ، السَّلامُ عَلَى خَامِسِ أصْحَابِ الكِسَاء، السَّلامُ عَلى غَريبِ الغُرَبَاءِ، السَّلامُ عَلى شَهِيدِ الشُّهَدَاءِ" وفي هذا المقطع نجد الاوصاف التي انفرد بها امامنا الحسين وقد اتفقت الفواصل في الروي(اء)واختلفت في الوزن

ب ـِ د / دِ ـِ / مَـــَـــاء قصير مغلق + قصير مفتوح + طويل مغلق

اَـلـ / خِـ ـِ / بَـــَـــاء قصير مغلق + قصير مفتوح + طويل مغلق

اَـلـ / كِـ ـِ / سَـــَـــاء قصير مغلق + قصير مفتوح + طويل مغلق

اَـلـ / غُـ ـُ / رَ ـَ / بَـــَـــاْ قصير مغلق + قصير مفتوح + طويل مغلق

و هو من السجع المطرف ،ومن الافت للنظر أنّ هنالك تساوياً بين كلّ فاصلتين في الروي و الوزن بين : (الخِبَاء والكِسَاء)وَبَين(الغُرَبَاء والشُّهداء والأدْعياء) وَبَين (كرَبَلاء والسَّماء)فالمرمّل بالدّماء : الراء والميم و اللام أصل يدلّ على رقة في شيء يتضام بعضه إلى بعض.ومنه رملت الحصير و أرملت اذا سخّفت نسجه و منه ترمَّل القتيل دِّمه أي تلطخ (ابن فارس،١٩٧٩، ج ٢: ٤٤٢)

واختار الامام صيغة المبالغة(مُفَعَّل)في مقام استعارة للدّلالة على صيغة المبالغة كـ(المُدِّثر و المُزّمل)، وتستعمل هذه الصيغة لاسم المفعول ، فالرّمل هو

فتات الصّخر، و قطعته رملة وأضيف اليه (الدِّماء) للدّلالة على فاجعة الحدث والمصاب فهو مرمل بالدماء و ليس التراب او الصخر والمهتوك الخباء تعني الخبيبة والخُبّة وهي الطريقة تمتدّ في الرّمل و يشّبهها الخِرقة التي تُخرق طولا (ابن فارس ،١٩٧٩،ج ٢: ١٥٧)،وخُصّ بصفة غريب الغرباء ، فقد تغرب و جاء من المدينة طلبا لنصرة الدين، والغرباء الاباعد، وهو شهيد الشُّهداء ، والشهادة : الخبر القاطع و الشهود الحضور و الشهيد الشاهد و القتيل في سبيل الله تعالى و جمعه شهداء(ابن فارس،١٩٧٩، ج ٢ : ١٦٤)

و الشّهيد المقتول في سبيل اللهّ من أسماء اللهّ الحسنى و قيل : الذي لا يغيب عن علمه شيء وجمعه (الرازي،٦٩،١٩٩٩) وهو ساكن كربلاء : وهي صفة اختصَّ بها امامنا الحسين من بين الأئمة الاثني عشر ، و السّكَن مشتق من السّكيْنة و في هذه الأرض و تربيتها كرامة إلهية فيقصدها الناس من كلِّ حدب و صوب طلباً للشفاء و استنجادا بشخصية ساكنها .

و الكرب : الْحزن وَالْغَم يَأْخُذ بِالنَّفسِ (مجمع اللغة العربية،٢٠٠٤ ،ج ٢ : ٧٨١) ومن الواضح للقارئ استعمال الإمام للسجع غير متكلف فأدّى وظيفته المنشودة في ايجاد ايقاع منتظم و متسلسل؛فالسّامع و المتلقي لها يسترسل لإكمال المقاطع و كأنّه مرتِّل يتلو القرآن الكريم ؛ فالتلاوة تتطلب ايقاعا متناسبا مع وحدات صوتية متتابعة تنتظم و تشكّل التجانس اللفظي (البستاني،١٤١٣ ،١٧٥)

ثانياً : التكرار :

نجد الإمام يكرر بعض المقاطع في كل مقاطع الزيارة و منه(السلام) في معناه يقول ابن فارس : « السِّينُ وَاللَّامُ وَالْمِيمُ مُعْظَمُ بَابِهِ مِنَ الصِّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ ; وَيَكُونُ فِيهِ مَا يَشِذُّ، وَالشَّاذُّ عَنْهُ قَلِيلٌ، فَالسَّلَامَةُ: أَنْ يَسْلَمَ الْإِنْسَانُ مِنَ الْعَاهَةِ وَالْأَذَى (ابن فارس،١٩٧٩،ج ٣ : ٩٠) ثم يتدرج في هذا السّلام من العموم ثم يخصص ، فقد احتلّ السّلام مساحة كبيرة في هذه الزّيارة ابتداء من الأنبياء حتى ينتهي الى آل بيت النبّوة طلباً للإجابة وهذا ما يؤكد الآداب التربوية العالية لإمامنا ، وفيه توكيد أيضاً لأثر الدّعاء في الاستجابة وهو «وسيلة لارتباط المسلمين بأولياء أمورهم واعتصامهم بحبل الولاء الذي جعله اللهّ عصمة للمسلمين (الآصفي، ١٤١٥هـ ، ١٥٤)

ويمثلُ السلام أساس الزيارة وعمادها؛ لأنّ الغرض من الزيارة هو الوصول إلى صاحب المقام ومخاطبته بما يحبّه ويرضاه، ولا يوجد أفضل من السلام؛ لكونه تحية الإسلام وأحد الشعارات التي يمتاز بها المسلم عن غيره (الغريفي،٢٠٢١، ٢٣٦) ومعناه بشكل عام طلب الزائر من الله تعالى السلامة

« السَّلامُ عَلى يَعْسُوبِ الدِّيْنِ،السَّلامُ عَلى مَنَازِلِ البَرَاهِينِ" واليعسوب: الفحل من النحل و يعني ملكها و جمعه يعاسيب (ابن فارس ، ١٩٧٩ ، ج ٤ : ٣١٧) واختيار لفظ اليعسوب و هو الفحل من النحل اختيار بليغ لأن العرب تطلقه على القبائل على رئيس القوم ، كما وصفه الامام علي عليه السلام في وصف العرب الخُلَص بقوله» فإن كان لابد من العصبية ، فليكن تعصبهم لمكارم الخصال ، ومحامد الافعال، ومحاسن الامور التي تفاضلت فيها المجداء و النجداء من بيوتات العرب و يعاسيب القبائل(الرضي ،) فالإمام الحسين عليه السلام هو رئيس قبائل العرب بشجاعته و بسالته و قوته و إضافة الدّين له تشريف أكبر لذلك اللفظ فهو المالك لأمور الدِّين .

المبحث الثاني
دلالة المقاطع الدعائية

١.التقابل الدّلالي :

(الصغير و الكبير) : الصِغَر ضِدُّ الْكِبَرِ. وَالصَّغِيرُ: خِلَافُ الْكَبِيرِ (ابن فارس، ١٩٧٩،ج ٣ : ٢٩٠) وهنا يشير الى أنّ العدو لم يرحم الكبير و لا الصغير من أبناء الإمام الحسين ﷺ فعلي الكبير هو أول أبناء الإمام و عبد اللهّ الصغير الرضيع لم يرحم ايضا بل مات عطشاناً ؛ لذا يقول الإمام الحجة ﷺ « السَّلامُ عَلى عَلِيٍّ الكَبِيرِ، السَّلامُ عَلى الرَّضِيعِ الصَّغِيرِ»

٢.الفروق اللغوية :

فقد راعى الإمام الفروق اللغوية الدقيقة بين الألفاظ واستعمل كل لفظ في موقعه المناسب و منه

- استعماله للفظي (النبّي والوصّي):

«السَّلامُ عَلى ابْنِ خَاتَمِ الأنبِيَاءِ.السَّلامُ عَلَى ابْنِ سَيِّدِ الأوصِيَاءِالسَّلامُ عَلَى ابْنِ فَاطِمَةَ الزَّهْراء»

وهنالك فرق بين النبي والوصي ؛ فالنبي : الشريف على سائر القوم وهو مخبر عن الله يصطفيه ليوحى إليه مكلف بالإبلاغ (الرازي،١٩٩٩، ٣٠٤) والوصي: «الوَاوُ وَالصَّادُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ: أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى وَصْلِ شَيْءٍ بِشَيْءٍ. وَوَصَيْتُ الشَّيْءَ: وَصَلْتُهُ. وَيُقَالُ: وَطِئْنَا أَرْضًا وَاصِيَةً، أَيْ إِنَّ نَبْتَهَا مُتَّصِلٌ قَدِ امْتَلَأَتْ مِنْهُ"(ابن فارس، ١٩٧٩ ،ج ٦ :١١٦)

و قد روى الطبري بإسناد له عن سلمان قال: قلت لرسول الله: يا رسول الله إنه لم يكن نبي إلا وله وصي، فمن وصيك؟ قال وصيي وخليفتي في أهلي وخير من أترك بعدي مؤدي ديني ومنجز عداتي علي بن أبي طالب (المجلسي،١٩٨٣،ج ١:٣٨)

و استعمل (الجسم و الجسد)فانتقل في الوصف إلى حال الأجساد والأجسام وصفاً دليلاً مفصَّلاً و الأعضاء والرؤوس والنساء فيقول :»السَّلامُ عَلى الأَجْسَادِ العَارِيَاتِ ، السَّلامُ عَلى الجُسُومِ الشَّاحِبَاتِ، السَّلامُ عَلى الدِّمَاءِ السَّائِلاتِ»فالجسد والجسم لفظان متقاربان إلاّ أنّ هنالك فروقاً دلالية دقيقة ففي»الجِيمُ وَالسِّينُ وَالدَّالُ يَدُلُّ عَلَى تَجَمُّعِ الشَّيْءِ أَيْضًا وَاشْتِدَادِهِ. مِنْ ذَلِكَ جَسَدُ الْإِنْسَانِ. وَالْجَسَدُ: الَّذِي يَلِي الْجَسَدَ مِنَ الثِّيَابِ. وَالْجَسَدُ وَالْجَسِدُ مِنَ الدَّمِ: مَا يَبِسَ، فَهُوَ جَسَدٌ وَجَاسِدٌ“ (ابن فارس، ١٩٧٩،ج ١: ٤٥٧)؛فالجسم عام يطلق على كل ما فيه روح، والجسد أخصّ منه يطلق على جسد الانسان بلا روح وهي الجثة فاستعمل لفظ (الأجساد) لوصف حال الجثث بعد قتلها و اضيف إليها الوصف(العاريات) ، واستعمل الجسوم ؛ لأن الروح ما زالت فيها و لم تفارقها الى يومنا هذا ووصفت بـ(الشاحبات) ، وفي هذا المقطع يتضح لنا استعمال الجمع للمؤنث السالم لصفات العاقل و التي تكررت في (العاريات والشاحبات والسائلات والمقطعات والمشالات والبارزات)

- الخيل و الجواد و الفرس :

فهو يفرق بينها» حَتَّى نَكَسُوكَ عَنْ جَوَادِكَ، فَهَوَيْتَ إِلَى الْأَرْضِ جَرِيحاً، تَطَؤُكَ الْخُيُولُ بِحَوَافِرِهَا «و كذلك قوله :» فَلَمَّا رَأَيْنَ النِّسَاءُ جَوَادَكَ مُخْزِيّاً، وَنَظَرْنَ سَرْجَكَ عَلَيْهِ مَلْوِيّاً « ومن المعلوم أن بينهما فرقاً ؛ فالخيل:مَعْرُوفَةٌ. وَسَمِعْتُ مَنْ يَحْكِي عَنْ

بِشْرٍ الْأَسَدِيِّ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَمْرِو بْنِ الْعَلَاءِ، وَعِنْدَهُ غُلَامٌ أَعْرَابِيٌّ فَسُئِلَ أَبُو عَمْرٍو: لِمَ سُمِّيَتِ الْخَيْلُ خَيْلًا؟ فَقَالَ: لَا أَدْرِي. فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: لِاخْتِيَالِهَا. فَقَالَ أَبُو عَمْرٍو: اكْتُبُوا. وَهَذَا صَحِيحٌ ; لِأَنَّ الْمُخْتَالَ فِي مِشْيَتِهِ يَتَلَوَّنُ فِي حَرَكَتِهِ أَلْوَانًا(ابن فارس ، ١٩٧٩ ، ٢ : ٣٦)

فالخيل مصدر فخر للعربي فهي تحمل الفارس و له من الإكبار والهيبة فيهاب ويخلق الذعر في صفوف العدو، وَالْجَوَادُ: الْفَرَسُ الذَّرِيعُ وَالسَّرِيعُ، وَالْجَمْعُ جِيَادٌ قَالَ اللهُ تَعَالَى: (إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ) ، وَالْمَصْدَرُ الْجُودَةُ (ابن فارس، ١٩٧٩، ١ : ٩٣)

وواضح الفرق بينهما من حيث أنّ خيل الامام جواد و ليس عادي فله سمات خاصة من حيث الاصالة والسرعة وبقية الخيول لا تعرف من يركبها ؛ أما جواد الإمام فيعرفه ويحنُّ إليه ويدافع عنه وينحني تشريفا واكراما له ويقال :»إِذَا كَانَ كَرِيمَ الأَصْلِ رائعَ الخَلْقِ مُسْتَعِدّاً للجَرْي والعَدْوِ فَهُوَ عَتِيق وَجوَاد»(الثعالبي،٢٠٠٢ ، ١١٧)فظهر الانكسار لجواد الامام مطأطأ برأسه حزينا لانعدام مساعدته الامام شرع بالوصف الدقيق بوصول الجواد الى المخيم وهو من دون الفارس و كأنه يصف ندمه وحسرته وتقصيره عن نصرة فارسه بدأ بصهيله ليخبر أهل بيته بالمصاب ثم وصفه في موضع آخر في الزيارة بالفرس، وللفرس معنى خاص و فيه الْفَاءُ وَالرَّاءُ وَالسِّينُ أُصَيْلٌ يَدُلُّ عَلَى وَطْءِ الشَّيْءِ وَدَقِّهِ و التَّفَرُّسُ فِي الشَّيْءِ، كَإِصَابَةِ النَّظَرِ فِيهِ(ابن فارس، ١٩٧٩،ج ٤ : ٨٦) و في مقطع آخر يقول: «وَأَسْرَعَ فَرَسُكَ شَارِداً، وَإِلَى خِيَامِكَ قَاصِداً، مُحَمْحِماً بَاكِيا»والحَمحَمة : صوت الفرس حين يردد و يبكي (ابن فارس ، ١٩٧٩ ، ج ٢ : ٢٤) فمراعاة الفروق اللغوية دقيقة جداً،وإن كان يدلّ على شيء فيدلّ على الفصاحة و البلاغة .

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
المجلد الثاني، السنة الثانية، الملحق (١)

السَّيف و ذو الفقار و المهند :

للسّيف دلالات كثيرة على الشجاعة والبسالة والشدة والحسم وكل اسم من أسماء السّيف له دلالة خاصة توظف لخدمة المعنى؛ يقول السيوطي:»يسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة؛نحو السيف والمهند والحسام وفي هذا أن الاسم واحد وهو السيف ومابعده من الألقاب والصفات ومذهبنا أن كل صفةٍ منها معناها غير معنى الآخر»(السيوطي، ١٩٩٩،٤٠٤)؛فالسَّيف:»السِّينُ وَالْيَاءُ وَالْفَاءُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى امْتِدَادٍ فِي شَيْءٍ وَطُولٍ.» (ابن فارس، ١٩٧٩ ، ٣ : ١٢١) :» سَلَامَ مَنْ لَوْ كَانَ مَعَكَ بِالطُّفُوفِ لَوَقَاكَ بِنَفْسِهِ حَدَّ السُّيُوفِ» ومن مميزات النّص هنا ذكره لأجزاء السّيف وهو(حدها)، ثم ذكر(ذو الفقار)وهو اسم سيف الامام علي ﷺ الذي استعمله في وقائعه و تسمى باسمه فصارت سمته مشهورة في العالم ، واستعمل الامام هذا الوصف للسيف فهو في موضع تشبيهه لجده أمير المؤمنين و يقاتل بسيف جده في البأس والشجاعة « مُجَالِداً بِذِي الْفَقَارِ، كَأَنَّكَ عَلِيٌّ الْمُخْتَار»يقال : إذا كَانَ فِيه خُزُوز مُطْمَئِنَّة عنَ مَتْنِهِ فَهُوَ مُفَقَّر"ومِنْهُ سُمِّيَ ذو الفَقار» (الثعالبي، ٢٠٠٢ ، ١٧٣) في هذا دلالة عظيمة على أنّ الإمام الحسين قاتل بسيف جده أمير المؤمنين الأمر الذي يعد من الأمور الغيبية في خفاء السيف،و أما المهند لفظ المهند فيصفه في سيف الشمر (لعنة الله)الذي ذبح به الإمام وكانت العرب تفخر بمكان صنع السيوف في الهند « ذَابِحٌ لَكَ بِمُهَنَّدِهِ «.

د. الرّمح والسّهم والقنا والنبال:

من الأدوات التي تستعمل في الحروب فلم يبقَ شيء منها ولم يغرس في جسد الإمام ﷺ، فالضرب بالسيف والطّعن بالرمح والرّمي بالسّهام ،و يصف الثعالبي

« تَرْتِيبِ النَّبْلِ"فيقول: «اذا رِيش ورُكِّبَ نَصْلُهُ صَارَ سَهماً وَنَبْلاً» (الثعالبي،٢٠٠٢ ،١٧٤) فالسّهام و النبّال اسمان لشيء واحد

الرُّمح:وهو شريك السيف في القتال قضيب طويل في رأسه سنان ؛ أو حربة يطعن بها ويثقف بحديدة أو خشبة تكون مع الرماح يسّوى بها عوج القنا (ابن سيدة، ج ٣ : ٣٨٣)فشراسة المعركة و ظلم بني أُميّة جعل رماحهم تغرس في جسد الإمام ، فيقول الحجة عجل الله فرجه الشريف :» السَّلَامُ عَلَى الْمُجَرَّعِ بِكَأْسَاتِ الرِّمَاحِ «

١. **السَّهم** : واحد النبل و يستعمل في الحرب في بدايتها قبل اشتداد المعركة من خلال الرماة فيصيبون بها القلب و النحر ، وفيها تكسر القوة البدنية للفارس المغوار فيستعمله الضعيف في قتل الفارس الباسل فالقوة هنا للسهم و ليس للفارس على العكس من السيف والرمح(الختاتنة ،٢٠٢١ ، ٢٥٦)،وهذا مايؤكد خطاب الامام بقوله:» وَرَشْقُوكَ بِالسِّهَامِ وَالنِّبَالِ» فكانت كثيرة وغرست في كل جسم الإمامعليه السلام ؛ لهذا لم يستطع الإمام أن يواصل وقوفه من كثرتها و شدتها

٢. **القنا** :اسم من أسماء الرماح» احْدِيدَابٌ فِي الْأَنْفِ. وَالْفِعْلُ قَنِيَ قَنًى. وَيُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ الْقَنَاةُ مِنْ هَذَا، لِأَنَّهَا تُنْصَبُ وَتُرْفَعُ(ابن فارس،١٩٧٩ ج ٥ : ٣٠)والقناة : الرُّمح و جمعها قنوات ، هي كل عصا مستوية (ابن سيدة ، ١٨٩٧ هـ ،ج ٦ : ٥٦٧)دلالة استعماله في كلام الامام لإصابة الهدف و تحقيق النصر بالنسبة للعدو وهو استعمال طول واستواء القنا في رفع رأس الامام الشريف ؛ ففي بالهم تحقيق النصر برفعه عالياً و رُفع عليه رأس الإمام : « وَ رُفِعَ عَلَى الْقَنَا رَأْسُكَ» .

٣. **النبال** : السِّهَامُ الْعَرَبِيَّةُ. وَالنَّابِلُ: صَاحِبُ النَّبْلِ، وَالنَّبَّالُ: الَّذِي يَعْمَلُهُ. وَنَبَلْتُهُ: رَمَيْتُهُ بِالنَّبْلِ.(ابن فارس ، ١٩٧٩ ، ج ٥ : ٣٨)فالرّمح قناة في رَأسِهَا سِنَانٌ يُطْعَنُ به. السَّهْمُ عُود من الخشب يُسَوَّى، في طرفه نصل يُرمى به عن القوس.

٤.الصورة الفنية :

ينتقل الامام عليه السلام إلى وصف الحيوانات المفترسة التي تتناول هذه الأجساد الطاهرة وكأنّ آل بيت النبوّة في معرض للوحوش في الفلوات بلا ناصر أو محام فتكون موضع نهش للذئاب و السباع فيرسم لوحة فنية و كأنها واقع معاش فيقول:»السَّلامُ عَلى الأجْسَامِ العَارِيَةِ في الفَلَوَاتِ تَنْهَشُهَا الذِّئَابُ العَادِيَاتُ و تَخْتَلِفُ إِلَيها السِّباعُ الضَّارِيَاتُ « قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: النَّهْسُ وَالنَّهْشُ وَاحِدٌ، وَهُوَ أَخْذُ اللَّحْمِ بِالْفَمِ. وَخَالَفَهُ أَبُو زَيْدٍ فَقَالَ: النَّهْشُ: بِمُقَدَّمِ الْفَمِ(ابن فارس، ١٩٧٩، ج ٥ : ٣٦٣) و يقال في السِّباع:» كل قابض بأسنانه ينهش «(الثعالبي، ٢٠٠٢ ، ٢٦) والأصل في الذئاب « الذَّالُ وَالْهَمْزَةُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى قِلَّةِ اسْتِقْرَارٍ، وَأَلَّا يَكُونَ لِلشَّيْءِ فِي حَرَكَتِهِ جِهَةٌ وَاحِدَةٌ. مِنْ ذَلِكَ الذِّئْبُ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِتَذَؤُّبِهِ مِنْ غَيْرِ جِهَةٍ وَاحِدَةٍ. وَيُقَالُ ذُئِبَ الرَّجُلُ إِذَا وَقَعَ فِي غَنَمِهِ(ابن فارس، ١٩٧٩، ٣٦٨)ويبدو أنّ المراد بذكر هذين الحيوانين المفترسين على سبيل المجاز لا الحقيقة ويقصد بهما الامام جيش العدو فإنّ الوحوش و السباع و جميع الحيوانات تبكيه ليلا و نهارا (القمي،١٦٦،١٤١٧)

الخصوص و العموم :

١. تخصيص كلّ نبي بصفة معينة :

بدأت الزيارة بالسلام على أنبياء الله : آدم(صفوة الله)، شيث ولي الله و خيرته ، ادريس القائم لله

فبدأت الزيارة بالسّلام»السَّلامُ عَلى آدمَ صَفْوةِ اللهِ مِن خَليقَتِهِ ، السَّلامُ عَلى شِيثَ وَلِيِّ اللهِ و خِيرَتِهِ ، السَّلامُ عَلى إدْريسَ القائِمِ للهِ بِحُجَّتِهِ، السَّلامُ عَلى نُوح المُجَابِ في دَعوَتِهِ، السَّلامُ عَلى هُود المَمْدودِ مِنَ اللهِ بِمَعونَتِهِ.»فالسّلام على الأنبياء و

ترتيبهم من حيث القدم و الأسبق و كراماتهم ابتداءَ من نبي الله آدم عليه السلام و من بعده إلى ان يصل النبي عيسى عليه السلام،و كل نبي خصّه بصفة ملازمة له و هي : آدم (صفوة الله) وصفوة الشي هي خالصه فمحمد صفوة الله ، وَالصَّفِيُّ: مَا اصْطَفَاهُ الْإِمَامُ مِنَ الْمَغْنَمِ لِنَفْسِهِ (ابن فارس ، ١٩٧٩، ج ٣ : ٩٢)

٢.تخصيص آل بيت النبّوة :

ثم ينتقل في المقطع الثاني الى تخصيص السّلام لآل محمد صلى الله عليه وآله فكلّ منهم خُصَّ بصفات معينة لتبيه أنّهم الأوصياء من بعد الأنبياء» السَّلامُ عَلى مُحَمَّدٍ حَبيبِ اللهِ و صَفْوتِهِ ، السَّلامُ عَلَى أميرِ الْمُؤمِنين عَلِيِّ بْن أبي طَالِبٍ المَخْصُوص بِأُخُوَّتِهِ، السَّلامُ عَلى فَاطِمَةَ الزَّهراءِ ابنَتِهِ»فمحمد هو حبيب الله ، و علي أخوه ، و فاطمة ابنته ، و الحسن وصي أبيه و الخليفة من بعده و الحسين الذي ضحّى بمهجته في سبيل الدِّين .

٣. التخصيص بالسّلام على الحسين عليه السلام .

و خصّه بصفات معينة ،ومنها:»السَّلامُ عَلى مَنْ أطَاعَ اللهَ فِي سِرِّهِ وَعَلانِيَتِهِ ، السَّلامُ عَلى مَنْ جَعَلَ اللهُ الشِّفاءَ فِي تُرْبَتِهِ. السَّلامُ عَلَى مَن الإِجَابَة تَحْتَ قُبَّتِهِ ، السَّلامُ عَلى مَن الأئمَّة مِنْ ذُرِّيَّتِهِ».

والاوصاف في هذا المقطع تدل دلالة قاطعة على عظم منزلة الحسين عليه السلام فهو من أطاع الله في (السِّر والعلانية)،وتربته خُصَّت من بين أنواع التراب بأنّها شفاء من كلّ داء من ذريته الأئمة والأوصياء والصّالحين .و الغريب البعيد عن الوطن فالتغرب البعد عن الوطن و جمعه غرباء ، وفي الغربة البعد و الحدة و النؤى و خُصصّت تربة الامام الحسين بالشفاء

الخاتمة

١. تعدّ هذه الزيارة وثيقة تأريخية وشاهد عيان للعالم بأسره للظلم الذي تعرض له آل بيت النبّوة ولا سيما سبطهم الإمام الحسين الشهيد العطشان الغريب فمن يقرأ الزيارة ويتتبع الألفاظ والمقاطع سيجد التعنيف و الجور و الظلم الذي أُريقت بسببه الدّماء الطّاهرة ، فأضحت كربلاء أرض الحسين بعزتها و شموخها و شفاء تربتها بدمه الطّاهر ؛ فلا ماء يرويهم و لا طعام يقويهم و لم يسلم منهم الشيخ و الطفل الصغير

٢. تعد هذه الزيارة من الزيارات _ غير المشهورة ـ فتعددت الأقوال و أُثيرت الإنتقادات لبعض الألفاظ التي وردت في متنها وفيها تظهر مكانة كربلاء التي تشرفت أن تكون أرض الإمامين و مقر للأجساد الطّاهرة و كأنّها شاهد للعالم يحاكي فضل البكاء على الحسين عليه السلام

٣. غلبة السجع المطرف الذي يحتوي السجع على مؤثرات صوتية نغمية فيحدث ايحاءات بلاغية جمالية ففيها المقاطع الصوتية المغلقة و دلالة التوجع وغصة الألم و التحسر لانعدام نصرة الإمام وفي ذكرها قصة مقتل الحسين عليه السلام زيادة على ذلك نجد الإشارات الجمالية في اختيار اللفظ وجودة وقوعه في نفس السامع أو القارئ .

٤. كثرت الأساليب البلاغية و المحسنات البديعية في مقاطع الزيارة و من بينها التفريق اللغوي الدقيق بين كل لفظ مشابه كـ(النبي و الوصي) و (الجسم و الجسد) و (السيف و ذو الفقار و المهند) فهو خطيب متمكن من أدواته اللغوية و البلاغية الدقيقة ، وكل لفظ استعمله في موقعه المناسب وبينت الزيارة الأهداف التربوية والأخلاقية العالية التي تحلّى بها أهل البيت سيّما خاتمهم الموعود الإمام النتظر عجل الله فرجه فقد سلّم على الأنبياء السابقين وذكر خصيصة كلّ نبي بصفة انفرد بها دون غيرها للتذكير والعبرة والموعظة.

٥.في الزيارة مفاتيح دلالية كثيرة وأمور غيبية ؛ لتبقَى نداء الحرية الذي نادى به الحسين عليه السلام : « لم أخرج بطرا و لاأشرا و إنما خرجت لطلب الإصلاح « فالامام حي في ضمائر المنتظرين للفرج والآخذين بثأر الحسين و أهل بيته عليهم سلام الله أبدا ما بقيت وبقوا الليل والنهار .

المصادر و المراجع :

القرآن الكريم

١.الآصفي (١٤١٥ هـ) : محمد مهدي : الدعاء عند أهل البيت ، ط ١ ، مطبعة امير ، المجمع العالمي لأهل البيت

٢.البستاني (١٩٩٢) محمود : الاسلام و الفن ، مجمع البحوث الاسلامية للدراسات و النشر ، بيروت ـلبنان

٣.الثعالبي (٢٠٠٢) : عبد الملك بن محمد بن اسماعيل ابو منصور (ت ٤٢٩ هـ) : فقه اللغة و سر العربية ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، ط ١ ، دار إحياء التراث العربي

٤.الختاتنة (٢٠٢١)حمزة ومحمد السعود عُدّة الحرب و عتادها في الشعر الاندلسي ـ دراسة وصفية دلالية في ديوان لسان الدين بن الخطيب) بحث ورد في مجلة دراسات العلوم الانسانية و الاجتماعية ، مج ٤٨ ، ع ٣ ، ملحق ١ .

٥.الخوئي (١٤١٣) أبو القاسم : معجم رجال الحديث ، ط ١ ، مطبعة الاداب

٦.الرازي (١٩٩٩) مختار الصحاح ، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦هـ) ،تحقيق: يوسف الشيخ محمد ،ط ٥ ، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا

٧.الرماني(١٩٧٦) علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني المعتزلي (ت ٣٨٤هـ النكت في اعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن) : النكت في

إعجاز القرآن تحقيق: محمد خلف الله، ط٣ ، د. محمد زغلول سلام ، دار المعارف بمصر

٨.الزركشي (١٩٧٢) بدر الدين محمد بن عبد الله(ت ٧٩٤ ه) : البرهان في علوم القرآن، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا ـ بيروت .

٩.ابن الزملكاني(١٩٦٤) كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم (ت ٦٥١ هـ) تحقيق : د . احمد مطلوب و د . خديجة الحديثي : التبيان في علم البيان المطّلع على اعجاز القرآن، ط ١ ، مطبعة العاني ، بغداد .

١٠.ابن سيدة (١٨٩٧) ابو الحسن علي بن اسماعيل : المخصص ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت .

١١.السيوطي (١٩٩٩) جلال الدين (ت ٩١١ هـ) : الاتقان في علوم القرآن ، دار الكتاب العربي .

١٢.الصغير (٢٠٠٠) محمد حسين : الصوت اللغوي في القرآن ، ط ١ ، دار المؤرخ العربي ، بيروت ـ لبنان

١٣.عبد الرحمن (٢٠١٣) عبد الهادي: المثل في نهج البلاغة ،

١٤.عتيق (١٩٨٥) عبد العزيز : علم البديع ، دار النهضة العربية

١٥.العلوي (بلا تاريخ) يحيى بن حمزة بن علي بن ابراهيم : الطراز لأسرار البلاغة و علوم حقائق الاعجاز :، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت

١٦.الغريفي (٢٠٢١) زين العابدين المقدس : البعد السندي و الدلالي في زيارة الناحية المقدسة ، بحث ورد في مجلة الاصلاح الحسيني ، ع ٣٣ ، س ٩ .

١٧.ابن فارس (١٩٧٩) ابو الحسين احمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون : مقاييس اللغة ، دار الفكر .

١٨.الفراهيدي(بلا تاريخ) ابو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت ١٧٥ه) : كتاب العين ، تحقيق : مهدي المخزومي و ابراهيم السامرائي

١٩.القمي (١٤١٧ ه) :جعفر بن محمد بن بابويه(ت ٣٦٨ هـ) تحقيق : جواد القيومي: كامل الزيارات ،ط١ ،مؤسسة النشر الاسلامي ، قم ـ ايران

٢٠.المجلسي (١٩٨٣) : بحار الأنوار، ط٢ ، مؤسسة الوفاء

٢١.المشهدي (١٤١٩) محمد بن جعفر : المزار ، ط١ ،تحقيق : جواد القيومي ، قم ـ ايران